صراع العباقرة

محمود سالم

صراع العباقرة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

صراع العباقرة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٦ ٣٠٣٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
طفل عبقري يثير الجهات الأمنية!	١١
الاختطاف المريب!	١٧
سيارة مفخَّخة!	٢٣
ثمن العبقرية!	٢٩
المطاردة الكبرى!	٣٥
الخدعة الكبرى!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

طفل عبقري يثير الجهات الأمنية!

كانت شوارع «القاهرة» ولأكثر من ستين يومًا لا تزدحم بمثل ما تزدحم به الآن من أطفال في أحلى أعمارهم.

لقد بدأ الموسم الدراسي ... وبدأ التلاميذ يتوافدون على مدارسهم في زِيهم الموحَّد، يتقافزون ويتاضحكون ويتقاذفون ما بأيديهم من أغلفة الحلوى الفارغة.

وكان «أحمد» و«إلهام» و«ريما» و«عثمان» يتجوَّلون بسياراتهم بين شوارع «القاهرة الكبرى»، يراقبون هذا المهرجان المبهج ... ويُداعبون الأطفال من نوافذ السيارة، ويتضاحكون مع ضحكاتهم.

إنهم يستزيدون بما في عيونهم من آمال وأحلام بمستقبل مشرق، تكون فيه «مصر» ويكون فيه العالم أكثر قوةً وتقدمًا ورُقيًّا ... مستقبل يزداد فيه عدد العلماء والمخترعين صنَّاع الحضارة والرقي الإنساني.

أحد الأطفال سأل «أحمد» قائلًا: هل تعرف مخترع السيارة التي تركبها؟

ابتسم «أحمد» وقال له: نعم ... ولكنه ليس مخترعًا واحدًا ...

وفي حماسٍ طفولي بريء قال الطفل: نعم أعرف أنهما مخترعان.

تجمَّع حول السيارة بعض الأطفال يُتابعون ما يجري ... و«إلهام» تحث «أحمد» على إنهاء هذا النقاش وحثهم على دخول المدرسة ... فلم يلتفت إليها ... بل أكمل حديثه مع هذا الطفل المثقَّف قائلًا: ومن هما المخترعان؟

الطفل: إنهما «ديملري» و«كارل بتر».

هلَّل «أحمد» سعادةً بهذا الطفل المثقَّف، وحيَّاه وانصرف بالسيارة معلِّقًا بقوله: يا له من طفل يُنبئ عن ميلاد عالم قد يفيد البشرية ...

ريما: ولماذا قلت «قد» الاحتمالية ولم تقل «سوف» التيقُّنية؟

أحمد: لأنه يحتاج للكثير من العناية وتوفير الكثير من الإمكانيات كالمعامل والوِرش ... والبرامج المؤهِّلة والمساعِدة على تفجير ما لديه من طاقةٍ إبداعية، ونحن لدينا العدد من المبدعين، ولكن أين مَن يكتشفهم؟

إلهام: لقد كان هذا غير موجود فيما سبق، أمَّا الآن فأنا لديَّ تقرير عن مشروع عملاق لـ «الولايات المتحدة الأمريكية» رصدت له ميزانيةً ضخمة للمسح الجيني لكل أطفال العالم بحثًا عن العلماء منهم ...

تساءل «عثمان» في دهشةٍ قائلًا: أطفال علماء؟!

إلهام: أقصد الاستعداد الوراثي للطفل لأن يكون في المستقبل عالمًا.

هزَّ «عثمان» رأسه دهشةً لِمَا يخطِّطه هؤلاء البشر وعلَّق قائلًا: ويتبنَّونه منذ الصغر ويُعدونه إعدادًا جيدًا ...

قاطعة «أحمد» قائلًا: إنهم يتركونه يُعدُّ نفسه بتوفير مُناخ الحرية الكاملة ... وتوفير الألعاب الحاثة على التفتُّح العقلي ... والوِرش والمعامل التي تُناسب مرحلته السنية وقدراته العقلية ... والمكتبة التقليدية والإلكترونية.

كانت «إلهام» في هذه الأثناء تتابع على شاشة ساعتها التقارير الإخبارية التي يبثها مركز معلومات المقر ... ولفت نظرها خبرٌ قصير يقول: طفل عبقري يُثير قلق الجهات الأمنية.

عند هذا الحد وانتهى الخبر ... غير أنه لم ينتهِ بالنسبة لـ «إلهام» التي قاطعت الجميع قائلة: اسمعوا آخر الأخبار المثيرة.

ريما: أهو من مركز معلومات المقر؟

إلهام: نعم ... ويقول إن طفلًا عبقريًّا يثير قلق الجهات الأمنية ... وقد قمت بتسجيل الخبر على ذاكرة الساعة ...

وفي حماسٍ شديد قال لها عثمان: ادخلي على الذاكرة التفاعلية لمركز المعلومات واطلبي المزيد من المعلومات حول هذا الخبر.

أحمد: سأقوم أنا بهذا الدور عن طريق كمبيوتر السيارة.

وبالفعل قام «أحمد» بالدخول على شبكة معلومات المقر ... ثم قام باستحضار الخبر وطلب المزيد من المعلومات عنه ... فلم يجد ...

فقام بالاتصال برقم «صفر»، ولم يكن يعرف أنه بالمقر فقال له: هناك خبر مثير يا زعيم بثَّه مركز معلومات المقر ... ولم نسمعه أو نقرأه في أيِّ قناة إخبارية أخرى.

رقم «صفر»: وما هو الخبر؟

أحمد: إنه طفل عبقري يثير قلق الجهات الأمنية.

رقم «صفر»: لا يمكنني إعطاؤك المزيد من المعلومات عن هذا الخبر ... إلا عندما تسمح إدارة أمن المعلومات.

أحمد: ماذا سيتم بعد دقائق؟

رقم «صفر»: سأُحدِّد لك ميعاد الاجتماع.

انتهى الاتصال ... وبدأ التخمين ... «طفل عبقري» يثير قلق الأجهزة الأمنية ... إنه خبر مثير حقًّا ... ويحمل الكثير من التفسيرات ... فقد يكون هذا الطفل هو مراهق من مدمني الكمبيوتر والسباحة في الشبكة الدولية وإنشاء البرامج التدميرية المسمَّاة بالفيروس ... هذا ما اقترحته «ريما» ... فعلَّق «عثمان» قائلًا: تقصدين أن يكون هذا المراهق يقوم ببثِّ هذا الفيروس على المواقع الإلكترونية للأجهزة الأمنية؟

ريما: أو أن هذه الأجهزة الأمنية كثيرة لها الشكاوى منه ...

عثمان: ولكن لكي يحدِّدوا في الخبر أنه طفل ... فهذا يعني أنه تمَّ القبض عليه.

أحمد: إن كان قد تمَّ القبض عليه فلماذا لم نجد المزيد من المعلومات عن الخبر؟ ... لا ليس هذا هو الموضوع ... ما قاله رقم «صفر» إن هناك اجتماعًا سيتم عقده لمناقشة هذا الأمر ... وهذا يعني أنه أمرٌ غير عادي.

وخزٌ في رسغه عرف منه «أحمد» أن رقم «صفر» يطلبه ... فضغط زرًّا بساعته وتلقَّى الاتصال قائلًا: نحن في طريق العودة إلى المقر يا زعيم.

رقم «صفر»: هذا حسن، فسأجتمع بكم الآن ...

أحمد: هل هناك جديد؟

رقم «صفر»: إنه تقرير للمخابرات يحوي معلومات مهمةً وخطيرة. أنا في انتظاركم. إلى اللقاء.

عندما وصلت «اللاندكروزر» إلى نهاية شارع الهرم ... أبلغ «أحمد» زملاءه بالمقر أنه على بُعْد خطوات منهم ... وعندما دار حول صينية «ميدان الرماية» أبلغه مركز القيادة والمتابعة أن الطريق إلى المقر آمن ... فدار مرةً ثانية، ثم انحرف يمينًا مع فندق «الميرديان»، ثم يسارًا مع أول تقاطع، وانطلق بعدها مع امتداد هذا التقاطع حتى أصبح أمام بوابة المقر التي انفتحت تلقائيًّا ... فتابعت «اللاندكروزر» السير حتى الجراج ... ومنه انتقلوا إلى قاعة الاجتماعات مباشرة، وقد أغلقت أنوارها بمجرد جلوسهم في مقاعدهم ... وأُضيئت

بعدها الشاشة العملاقة ... وظهر عليها وجه رقم «صفر» مقسَّم كالفُسيفساء إلى مربعات صغيرة لا يمكنهم معها تحديد ملامحه بشكلٍ دقيق ... غير أنهم رأوه يبتسم وهو يقول لهم: مساء الخير عليكم ...

لم ينتظر رد التحية بل أردف قائلًا: طفل مصري عبقري ... أَلَا ترون أنه خبر يدعو للفخر؟

وكعادة «ريما» ... فإنها دائمًا متحمِّسة لكل ما هو مصري ... لذلك قالت معلِّقة: أنا أرى أن الخبر ليس جديدًا؛ فكثيرٌ من الأطفال المصريين عباقرة.

رقم «صفر»: ولكن هذا الطفل يتمتَّع بقدرات خاصة لا يتمتَّع بها أحد غيره من أطفال العالم حتى الآن.

أحمد: هل لهذا الخبر علاقة بالمسح الجيني؟

رقم «صفر»: نعم ... فهل عرفتم قصة هذا المسح؟

إلهام: في حدود الخبر فقط ...

رقم «صفر»: أي ليس لديكم معلومات تفصيلية؟

إلهام: نعم ...

رقم «صفر»: يقول التقرير الاقتصادي إن الكمبيوتر الحديث إذا كان يتكلَّف أربعة آلاف دولار ... فمنهم مائة دولار للمواد الخام، ومائة للعِمالة، وبقية الأربعة آلاف كمقابل استخدام الأفكار الجديدة ... أي مقابل الترخيص بالاستفادة من الأفكار المبتكرة المضافة لهذا المنتج ... فهذه الأفكار هي التي تعطي المنتج قيمةً تنافسية.

عثمان: المقصود طبعًا بالأفكار الجديدة الاختراعات.

رقم «صفر»: بالطبع ... لذلك فالدول المتقدِّمة تعتمد في اقتصادها على مجموع ما يسجَّل فيها من براءات اختراع سنويًّا ... وهو عدد ليس بالقليل ... أمَّا الدول النامية كدولنا ... فليس لها نصيب في ذلك ...

ريما: ولكني أعلم أن عدد الاختراعات قليل للغاية.

رقم «صفر»: نعم أنا معك، هذا بالنسبة للاختراعات الأم ... أمَّا ما يسجَّل الآن فهي ابتكارات خرجت من هذه الاختراعات، كاختراع الراديو لـ «ماركوني»، خرج منه اختراع المحمول مثلًا ...

عثمان: أي إن ما يحقِّقه مجموعة من المخترعين يساوي ما تحقِّقه أكبر دولة بترولية عربية؟

رقم «صفر»: طبعًا لأنها تبيعه كمادة خام ... لذلك ترَون أن صناعة المبتكرين تُعد من أهم الصناعات الدولية الآن، ولكن تأتي قبل ذلك مهمة الكشف عنهم ...

لذلك أطلقت «الولايات المتحدة الأمريكية» مبادرتها للمسح الجيني لكل أطفال عباقرة يتمتَّعون بمواهب فذة يمكنهم تنميتها وتوجيهها، وفي النهاية الاستفادة منها في عالم الابتكار والاختراع والاكتشافات العلمية الحديثة، ليترجَم كلُّ ذلك إلى عوائد اقتصادية كبيرة ووجود مؤثر في الساحة الدولية، والاستئثار بالتفوُّق العلمي والتكنولوجي.

ريما: أستطيع أن أستنتج أن الخبر الذي قرأته «إلهام» في الصباح له علاقة بهذا الموضوع.

رقم «صفر»: تقصدين «طفلًا عبقريًّا يثير الأجهزة الأمنية»؟

ريما: نعم!

لم يُجِبها رقم «صفر» بنعم أو لا ... بل أكمل قائلًا: لقد أعلن المركز المصري للمسح الجيني لطلبة السنوات الأولية عن وجود تلميذ عبقري من بين تلاميذ المدارس الابتدائية ... وهذا التلميذ يتمتَّع بعبقرية فذة تُنبئ عن أنه سيقدِّم للعلم وللعالم ما لم يقدِّمه عالمٌ من قبل ... وأن من يملك هذا العبقري سيملك مفاتيح كثيرةً للثروة والجاه والسلطان.

أحمد: ومَن الذي اكتشف ذلك؟

رقم «صفر»: عالم مصري مشهود له بالكفاءة في مجال الهندسة الوراثية، وقد قام بتدريس هذا النوع من علم الأحياء في كثيرٍ من جامعات العالم ... وقد استفاد من إمكانيات المركز الذي يتمتَّع بإمكانيات هائلة غير مستغلَّة ... إنه المركز القومي لبحوث الهندسة الوراثية ... والرجل هو الدكتور «جمال النقيب».

وفي دهشةٍ تساءلت «إلهام» قائلة: هل هذا يعني أنه أكثر الأطفال عبقرية في العالم؟

رقم «صفر»: نعم ...

إلهام: وكيف عرف ذلك الدكتور «جمال»؟

رقم «صفر»: هناك بالطبع صفات قياسية يضاهون بها جميع الجينات، وهناك فروق طفيفة تحدِّد الاختلافات بين البشر وبعضهم.

أحمد: إنه أمرٌ يدعو للفخر ... وأملٌ يدعو للتفاؤل.

رقم «صفر»: وعند إطلاق ذلك الخبر أبدت كثيرٌ من الأكاديميات العلمية والتربوية في كثيرٍ من دول العالم المتقدِّم استعدادها لتبني هذا الطفل ... وقد عرضت حكومات هذه الدول تقديم مقابل سخي عند حصولها عليه.

إلهام: وبالطبع لم توافق الحكومة.

رقم «صفر»: بالطبع ... فقد اعتبره المسئولون ثروةً قومية ... والتفريطُ فيه يصل إلى حدِّ الخيانة ...

عثمان: إنه شعور بالمسئولية عظيم ...

رقم «صفر»: لكن هذه الدول لم ترضَ عن هذا القرار ... وهدَّدت بتقليص فرص استثماراتها في «مصر» وعرقلة حركة التصدير التي نشطت أخيرًا، وغيره وغيره.

أحمد: هذا ليس من حقهم.

رقم «صفر»: لقد وصلوا إلى حد التهديد المسلَّح.

إلهام: وهل ضحَّت «مصر»؟

رقم «صفر»: لا ... لقد أرسلت مفاوضيها إلى كل دولة من هذه الدول يشرح وجهة نظرنا ... ومن ناحية أخرى حاولنا كسب تأييد دول أخرى لم تحذُ حذو هذه الدول.

كان «رشيد» يتابع هادئًا ما يجري في حنق، إلا أنه لم يتمكَّن من السكوت أكثر من ذلك، فقال: وماذا كان موقف هذه الدول؟

رقم «صفر»: الغريب أنَّ الضجيج الذي أُثير حول هذا الأمر خفت أخيرًا ... وساد الساحةَ الدولية هدوء مريب ... أثار مخاوف أجهزة المخابرات ... فنشطت لمعرفة ما يجري في الخفاء ... فهل تعرفون ماذا وجدوا؟

الاختطاف المريب!

هناك مخطَّط قذر لاختطاف «عبد الوهاب»، وهذا هو اسمه ... وإن لم يتمكَّنوا فإن لديهم تصريحًا بقتله ...

وفي استنكارٍ ودهشة صاح «أحمد» قائلًا: يقتلون طفلًا؟!

رقم «صفر»: إنه بالنسبة لهم رجل كبير ومخترع فذٌّ سيغيِّر من تاريخ العالم، وينقُل الصدارة منهم إلينا.

عثمان: وهل مهمتنا حمايته؟

رقم «صفر»: ومن قال لك إننا نصلح لهذه المهام ... إنه يحتاج لحراسة ترافقه لسنين عدة ... ونحن رجال مهام لا رجال حراسة.

أحمد: من المؤكد أنه الآن في حراسة الدولة.

رقم «صفر»: القضية ليست في حراسته ... القضية هي كيف نحرسه دون أن نعرِّض اتزانه النفسي للاختلال ... فهذا هو ما يهمنا.

مصباح: لمَ لا تضعون له شبيهًا في أكثر من مدرسة؟

ريما: إنها فكرة مرعبة أن نضحِّي بأطفال أبرياء حتى ولو كان من أجل قضية مهمة.

رقم «صفر»: لقد تغلَّبنا على هذه المصاعب ... فقمنا بتجنيد ثلاثة أقزام وأجرينا لهم عمليةً لتغيير الملامح حتى صاروا في مثل سِنه، ودرَّبناهم جيدًا على حمل السلاح ... والدخول في معارك جسدية ... وعندما يكبر سيكون أمر حراسته أيسر ... لأننا يمكننا وقتها بث حُرَّاس حقيقيين طبيعيين معه.

خالد: المشكلة إنهم قد يقتلونه بأسلوب غير تقليدي.

رقم «صفر»: إنَّ المدرِّسين في المدرسة ضباط في القوات المسلحة ... ومُدرَّبون جيدًا لحمايته.

وهنا صاح «أحمد» يائسًا: إذن ما هي المشكلة؟!

رقم «صفر»: إنها أكبر وأغرب مشكلة تواجهها المنظمة.

إلهام: ما الأمر؟

رقم «صفر»: لقد أصبح «عبد الوهاب» ثلاثة!

أحمد: كيف يا زعيم؟!

رقم «صفر»: غادر «عبد الوهاب» المدرسة ومعه زملاؤه ... وركب معهم أتوبيس المدرسة، ولم تتركه الحراسة غير الظاهرة إلا بعد أن أغلق باب البيت ... وهناك حارسان يقفان بالباب ... وإذا انتهت فترة عملهما لا يغادران المكان إلا في وجود بديلَيهما ... ومع ذلك وفي يوم الأحد السابق اكتشف مدير المدرسة أن هناك تلميذَين يشبهان «عبد الوهاب» تمامًا قد طرأ وجودهما على المدرسة، وقد اكتشف أحد المدرسين ذلك وقام بإبلاغه ... فقام الرجل باستدعاء ضابط الأمن المكلَّف بحراسة «عبد الوهاب»، فقام الرجل بإبلاغ رؤسائه وجرى تحقيق على نطاقٍ واسع ... غير أن الأمر حتى الآن مريب للغاية ... فلا أحد يعرف أين «عبد الوهاب» الحقيقي ... ولا أحد يعرف من هو «عبد الوهاب» الموجود لديهم ... والقضية بين أيديكم، وعليكم المواجهة وعلينا المساندة. وفقَّكم الله.

أُنيرت بعض مصابيح القاعة قبل أن تنطفئ الشاشة العملاقة ... وغادر كثير من الشياطين مقاعدهم، والتفوا في حلقة يسترجعون ما قاله رقم «صفر» ... وفي حماس قالت «ريما»: يجب منع جميع الأطفال في سِنه من السفر حتى تنتهي القضية.

ضمَّ «أحمد» شفتَيه وهزَّ رأسه، ثم قال لها: هذا قرار لا تملكه أجهزة الأمن ولا الحكومة ... فحرية السفر مكفولة للجميع ...

وهنا قاطعه «عثمان» قائلًا: أنا لا أعتقد أنهم سيلجئون إلى الوسائل المعتادة لإخراجه من «مصر».

إلهام: ماذا تقصد؟

عثمان: سيتم مثلًا شحنه في صندوق بضاعة ...

ريما: أو تمريره عبر الحدود.

مصباح: أو إخفاؤه حتى يهدأ الأمر ثم الخروج به مغيَّبًا.

أحمد: القضية معقَّدة، ويبدو أن وراءها جهاز مخابرات ماهرًا، أو عصابةً في حجم المافيا ...

إلهام: إذن المطلوب الآن أن نتحرَّك في أكثر من اتجاه.

باسم: ستكون كلها اتجاهات تحريات الآن.

تدخَّل «أحمد» مصدِّقًا على ما قاله: نعم ستكون كلها اتجاهات تحريات ... وسنبدأ بالمدرسة والمنزل في وقتٍ واحد؛ أي سنقسِّم أنفسنا مجموعات عمل ...

قيس: يجب رؤية الطفل الشبيه لـ «عبد الوهاب»؛ فهذا مهم للغاية.

أحمد: بالطبع سيحدث، ولكن بعد مقابلة رجال الأمن المسئولين عن حمايته.

قال هذا ثمَّ نظر إليهم مليًّا قبل أن يسألهم قائلًا: من سيذهب لمقابلة والد «عبد الوهاب» ووالدته؟

رفعت «ريما» يدها، وكذلك «خالد»، فاحترم الآخرون رغبتهما ولم يعلنا استعدادهما لذلك، فعاد «أحمد» يقول: ومن سيذهب إلى مدرسته؟

رفعت «إلهام» يدها، كذلك «عثمان»، وفعل الباقون مثلما فعلوا مع «ريما» و«خالد».

فاستطرد «أحمد» قائلًا: أمَّا رجال الأمن فسأذهب أنا ومعي «قيس» ... ونلتقي مساءً في قاعة مركز المعلومات ... أمَّا الباقون فعليهم حراسة المنافذ التي يمكن لمختطفي «عبد الوهاب» الخروج منها كالمطارات والموانئ والحدود البرية ... وفَّقكم الله ...

من بوابة المقر الخلفية ... انطلقت «الجراند شيروكي» الذهبية اللون ذات الزجاج البني الداكن تحمل «إلهام» و«عثمان» ... ولم يكن «عثمان» راضيًا عمَّا يجري ... فكيف سيحتمل أن تقود «إلهام» السيارة ويجلس هو بجوارها يعاني من كل هذه السخونة ... إنه لا يحتمل الجلوس بلا حركة وبلا عمل لدقائق ... فلماذا لم تحترم «إلهام» طبيعته ... وطلبت منه أن تقود هي السيارة ... وكانت «إلهام» تشعر به وبما يدور بداخله، فقالت له: «عثمان»، هل أتوقَّف وأُغادر مقعد القيادة؟

نظر لها «عثمان» مبتسمًا، وقد شعر أنها قرأت ما يدور بداخله ... فقال لها: لماذا؟ هل حدث شيء؟

إلهام: كي تقود أنت السيارة ...

وكأنَّ عقرب قد لدغه ... فقد انتفض وأخذ يتقافز على كرسيه وهو يدافع عن نفسه قائلًا: لماذا تتوقفين؟ أترينني مراهقًا يغار منك لأنك تقودين السيارة؟

ابتسمت «إلهام» وقالت تهدِّئه: أنا لا أقصد ولكني متعبة.

انطلق «عثمان» يضحك ضحكًا طفوليًّا ثم قال لها: ألَا ترَين أني طفل عبقري؟

ضحكت «ريما» وقالت له: أعرف أنك طفل، لكني لا أظن أنك عبقري.

اعتدل «عثمان» في جِلسته وقال يسترضيها: ألَا ترَين أن أدائي في المنظمة أداء عبقري؟

إلهام: أنا أرى أنك متميِّز، و«ريما» ترى أنك مستفز.

كان منزَل «ميدان لبنان» من الطريق الدائري قد اقترب ... فهدَّأت «إلهام» من سرعة السيارة ... ولزمت الحارة اليمين ... وبسلاسة عبقرية انزلقت عبر المنزَل، وانطلقت تُكمل طريقها إلى المدرسة التي كان بها «عبد الوهاب» في منطقة الزمالك ... هذا في الوقت الذي خرجت فيه «ريما» و«خالد» من منطقة الأهرامات، متجهَين إلى شارع «عبد الرحيم باشا صبري» المتفرِّع من شارع النيل بالعجوزة.

المدرسة كانت خاليةً إلا من بعض التلاميذ ... ولفت نظر «عثمان» أن بعض رجال الأمن يجلسون في شُرفة بالدور الأرضي، فحيَّاهم وقال لأحدهم: هل أنتم هنا لأجل «عبد الوهاب»؟

الرجل: نعم ...

عثمان: هل تسمح لي أن نتحادث سويًّا؟

الرجل: أنا لا أعرف شيئًا عن الموضوع.

عثمان: منذ متى وأنت هنا؟

الرجل: منذ صباح اليوم ...

شعر «عثمان» أنه صادق في كلامه، وكانت «إلهام» قد لحقت به بعد أن أوقفت السيارة في مكان آمن ... وسمعت سؤال «عثمان» وإجابة الرجل، فقالت تسأله: هل زملاؤك أتَوا معك اليوم أيضًا؟

الرجل: نعم ...

أنهى «عثمان» اللقاء بسؤاله قائلًا: هل هناك أحد بالإدارة؟

الرجل: كلهم تقريبًا.

عثمان: وكيف عرفت أنهم كلهم هنا؟

الرجل: لقد لاحظتهم عند دخولهم ولم أرَ أحدًا منهم يخرج حتى الآن.

كانت «إلهام» قد صعدت درجات السلم المؤدي إلى شرفة مكتب مدير المدرسة، وعندما لحق بها «عثمان» كانت هي تجلس أمام مكتب المدير، فقدَّمته له قائلة: هذا زميلي «عثمان» ...

المدير: أهلًا وسهلًا ...

جلس «عثمان» في المقعد المواجه لها، والتفت إلى المدير يقول له: كيف دخل هؤلاء التلاميذ المدرسة وهم ليسوا منها ...

المدير: أذكِّرك فقط بأنهما اثنان لا أكثر.

عثمان: إذن كيف دخل هذان التلميذان؟

المدير: لقد كان الأمر مفاجئًا لنا ... فمن كان يتوقَّع أن يحدث هذا؟!

إلهام: المفروض أننا جميعًا متوقِّعون وقوع محاولات اختطاف له ...

المدير: نعم ... والجميع متيقِّظ لذلك ... ولكن لم نكن نتوقَّع هذا السيناريو الذي أُديرت به العملية.

عثمان: هل الطفلان كانا شديدَي الشبه به إلى هذا الحد؟

المدير: عرفت أخيرًا أن عمليات جراحيةً أُجريت لهما لتقريب الشبه بينهما وبينه إلى حد التطابق، حتى الزائدة الجلدية التي كانت فوق أنفه زرعوا مثلها للطفلَين الآخرَين.

إلهام: وكيف عرفوا كل هذه التفاصيل عنه؟

المدير: لا تنسَي سيادتك أنه تعرَّض لدراسات مستفيضة داخليًّا وخارجيًّا؛ فلديهم عنه حتى خريطته الجينية.

صدَّق «عثمان» على كلامه قائلًا: معك حق، ولكن ألم يكن لهما ردود أفعال مخالفة لردود أفعاله؟

المدير: الأطفال في هذه السن يكونون متشابهين في اهتماماتهم وأفعالهم وردود أفعالهم ... أمَّا عن الاختلافات الجوهرية ... فالطفلان الدخيلان تعاملا معها بذكاء ومهارة.

إلهام: من الواضح أنهما خضعا لبرامج تدريب مكثفة.

عثمان: إنهما عملاء لجهاز مخابرات ماهر.

المدير: نعم يا سيدي ... حتى القمصان والبنطلونات والحقائب كانت من نفس الماركة ... ولأننا في بداية العام الدراسي فقد كانت كلها جديدة ... أمَّا محتويات الحقيبة فقد تمَّ توزيعها على الحقائب الثلاث.

نظر «عثمان» إلى «إلهام» ففهمت ما يقصده، ووافقت عليه بإشارة من طرف عينَيها ... فقال للمدير يسأله: وكيف تمَّ اختطافه وهروب الشبيه الثالث وهما بين أيديكم؟

المدير: لقد طلب الأب أن ينفرد بهم هم الثلاثة ... وبعد حوالي نصف الساعة خرج ومعه أحدهم ... وقال لنا هذا ابني، والآخران لا أعرفهما ... وطبعًا صدَّقناه ... وانتظرنا خروج الولدَين المزيفَين فلم يخرجا ... ولم نعثر عليهما حتى الآن.

سؤال أخير كان لا بدَّ من سؤاله ... فقد قال له «عثمان»: هل تشك في أحد العاملين بالمدرسة؟

المدير: لا يمكنني أن أُجيبك بنعم أو لا ...

احترم «عثمان» رغبة المدير ... وحيَّاه كما حيَّته «إلهام» ... وغادر المدرسة و«الزمالك»، وكان «عثمان» هو الذي يقود السيارة ... فقالت له: لا داعي للسير في الطريق الدائري الآن ... فأنا أريد السير على نيل «الجيزة».

عثمان: ما رأيك في شارع «ويصا واصف»؟

إلهام: ما رأيك أن نشرب شايًا في «الشيراتون»؟

عثمان: اقتراح مقبول ولكن لماذا؟

إلهام: أشعر أن الزملاء لم ينتهوا من مهامهم بعد ...

عثمان: هل أبغلتِهم بانتهاء مهمتنا؟

إلهام: ليس بعد ...

وكأنما نبَّهها «عثمان» لذلك؛ فقد قامت بالاتصال بـ «ريما» فوجدت تليفونها مغلقًا، فأرسلت لها رسالةً عبر ساعتها بأن مهمتها انتهت وأنها في طريقها إلى «الشيراتون».

وفي هذه اللحظة توقَّفت السيارة أمام باب «الشيراتون» ... واقترب منهم أحد العاملين ... فترك له «عثمان» مفاتيح السيارة وغادرها خلف «ريما» التي قالت له: هل تركت السيارة في الجراج؟

عثمان: بل تركتها للسائس هي والمفاتيح.

إلهام: لماذا فعلتَ ذلك؟!

سيارة مفخَّخة!

عاد «عثمان» لاسترداد مفاتيح السيارة فلم يجدها ... فذهب إلى الجراج فلم يجدها أيضًا ... فجرى إلى الشارع الخلفي المُطل على «النيل» ولم يجدها ... فهرول إلى ضابط الأمن الواقف في المدخل وقال له: لقد تركت سيارتي هنا مع أحد العاملين في الفندق ... وتركت معه مفاتيحها، والآن بحثت عنه فلم أجِده ولم أجد السيارة.

الضابط: هل تأكَّدت أنه من العاملين في الفندق؟

عثمان: لقد كان واقفًا أمام الباب الخارجي ويرتدي الزي المميَّز للفندق.

الضابط: دعنا نبحث معك ... وأرجو ألَّا تكون قد تعرَّضت لحادث سرقة ...

عثمان: هل حدث هذا من قبل؟

الضابط: لا لم يحدث ...

قام «عثمان» بإبلاغ قيادة المقر الأمنية عن السرقة، وطلب منهم عمل اللازم، وأثناء عودته إلى الباب الأمامي ... وجد السيارة تقف مفتوحة الباب وماتورها دائرًا ... وعندما دخل يتفقَّدها ... وجد سلسلة المفاتيح مدلاةً من التابلوه ... وقبل أن يقدم على أي فعل ... قالت له «إلهام» وقد كانت تقف خلفه: لا تُدِر المفتاح ولا تخرجه من فتحته ... واخرج في هدوء.

خرج «عثمان» مستسلمًا لأوامرها ... فأردفت قائلة: لا تغلق الباب ...

ترك «عثمان» السيارة ... ونظر إلى «إلهام» مندهشًا ... فلحقته قائلة: لقد غابت عنك السيارة مع رجلٍ لا تعرفه وعادت إليك دون عناء ... فهل لا يدعو هذا إلى الشك؟

عثمان: معك حق ... وماذا سنفعل الآن؟

إلهام: نريد خبير مفرقعات.

عثمان: هل تظنين أن السيارة مفخَّخة؟

إلهام: نعم ...

عثمان: أعتقد أن الوقت لم يكن كافيًا لذلك ...

إلهام: إنهم لا يحتاجون لوقتٍ طويل ... فكل شيء عندهم جاهز ... يضعونه في السيارة ويوصلونه بالكهرباء وينسبونه إلى الإرهاب الإسلامي.

عثمان: إذن سأفصل الكهرباء.

إلهام: لكي تفعل ذلك ستُضطر لفتح غطاء المحرك أليس كذلك؟

عثمان: نعم ...

إلهام: قد يكفي فتح الغطاء لانفجارها.

عثمان: هل فرضتِ وصدَّقتِ ما افترضتيه؟

إلهام: دعنا نُبلغ إدارة أمن المقر ...

عثمان: سأتصل بـ «أحمد».

إلهام: ليس هناك وقت ...

كان «عثمان» في هذه الأثناء يقوم بالفعل بالاتصال ... بـ «أحمد» الذي قال له: لا تقدم على أي فعل ... وسأصلك حالًا ...

ولم يمضِ وقت طويل إلا وكان «أحمد» ومعه «قيس» يقفان بجوار السيارة ... وقبل أن يضع يده فيها قال له: ما الذي دفعك للظن بأنها مفخَّخة؟

حكى «عثمان» لهما ما دار، فقال له: علينا أولًا أن نوقف المحرك ...

اعترضت «إلهام» وصاحت تقول له: قد تكون الطامة الكبرى في تحريك المفتاح ...

في هذه الأثناء كانت المنطقة قد ازدحمت بالعاملين في الفندق، ورجال الأمن الذين شرعوا يتحدَّثون بفظاظة غير لائقة مع الشياطين ... فأخرج «أحمد» بطاقته الأمنية وشرح لهم الأمر في عجالة، وطلب منهم إفساح المكان وتوفير الهدوء لإنهاء هذا الموقف الحرج في سلام.

تفهَّم رجال الأمن الموقف بعقولٍ راجحة، غير أن مدير الفندق لم يعجبه ما يحدث، ودخل في مناقشات وجدل عقيم معهم، وهم يحاولون إثنائه عن إزعاج الشياطين ... وأخيرًا اضطُروا أن يشرحوا له الموقف ... وانزعج الرجل انزعاجًا شديدًا وارتعدت أطرافه وتناثرت الحروف من بين شفتَيه غير ظاهرة، وهو يسأل الضابط قائلًا: لماذا لم تطلبوا الجيش؟ ... أنا أريد أحدًا من الجيش هنا.

أمسك الضابط بيده برفقٍ وقال له: ألم تعِدنا أنك ستكون رابط الجأش ... ولن تثير بلبلةً في المكان.

المدير: يا سيدي، إنها أرواح نزلاء ... وعُمَّال وموظفين ... يا سيدي، إنها أموال مستثمرين ... يا سيدي، إنها أرزاقنا وحياة نسائنا وأطفالنا.

انزعج الضابط من ارتفاع صوت المدير، وخشي أن يصل خبر ما يحدث لأحد النزلاء، وقتها ستكون الكارثة بحق؛ لذلك أمر رجال الأمن بحمله ووضعه في سيارة الشرطة، فصرخ فيهم قائلًا: دعوني ... الفندق سينفجر.

ولم تمضِ دقائق ... وكان الصراخ يصمُّ الآذان ... ووَقْع أقدام النزلاء يرجُّ المكان ... وعلا صوت ارتطام ضخم ولكنه مكتوم ... فصاح «أحمد» قائلًا: المصعد ...

وجرى رجال الأمن إلى المصاعد ... وانتظروها في الدور الأول حتى نزلت كلها، ثم قطعوا التيار الكهربائي ... أمَّا المصعد الاحتياطي فلم يسمح بفتح بابه ... فعرفوا أنه المصعد الذي سقط، وأن هناك ضحايا، فأبلغوا رجال الدفاع المدني ... وهكذا بدأت الإدارات الأمنية تتوافد تباعًا على الفندق ... وسيارات نجدة وسيارات إسعاف ... وقوات الدفاع المدني وسيارات المطافئ ... ومديرَي الأمن والإعلان والصحافة ... وتقاطر المصوِّرون يحملون أجهزة التصوير، والمذيعون يمسكون بالميكروفونات ... والنزلاء يجرون في الشارع بملابس النوم.

ومن فرط غيظه أمسك «أحمد» بأذن مدير الفندق وقال له: هل رأيت ما صنعت؟ ... ماذا لو أن السيارة انفجرت الآن وسط هذا الزحام؟!

صاح الرجل في هلعٍ قائلًا: هل حقًّا ستنفجر؟!

صاح فيه «أحمد» ينهره قائلًا: كفى يا رجل! سيكون هذا سبب فصلك ...

وخزات متلاحقة شعر بها «أحمد» في رسغه من ساعة يده ... فضغط زرًّا أسفل الشاشة، فعرف أنه رقم «صفر»، فوضع سماعةً دقيقة في أذنه وتلقَّى الاتصال قائلًا: معك يا زعيم ...

رقم «صفر»: لقد رأيتك على أحد القنوات الفضائية الإخبارية ... ماذا يجري عندك؟

أحمد: لقد تمَّ تفخيخ سيارة «إلهام»!

رقم «صفر»: أهي التي انفجرت؟

أحمد: إنها لم تنفجر يا زعيم.

رقم «صفر»: إن جميع القنوات الإخبارية الفضائية تقول غير ذلك.

أحمد: أنا أقف بالقرب من السيارة ... ولا أحد يعرف أنها السيارة المفخَّخة ... والكل يظن أن السيارة المفخَّخة في الناحية الأخرى.

رقم «صفر»: ولكنهم يقولون إنهم سمعوا صوت انفجار، وأن النزلاء الفارين يؤكِّدون ذلك ...

أحمد: إنه صوت سقوط المصعد الاحتياطي.

رقم «صفر»: لم يحتمل تكالب النزلاء عليه.

أحمد: هذا ما حدث يا زعيم.

رقم «صفر»: إذن لا تخبر أحدًا شيئًا عن السيارة ... وعالجوا الموقف بحكمة ... وسأُرسل لكم خبير مفرقعات المنظمة.

أحمد: إنه مطلبٌ عاجل يا زعيم ...

رقم «صفر»: يقولون لي إنهم في الطريق إليك ... ويبقى سؤال أخير ...

أحمد: ما هو يا زعيم؟

رقم «صفر»: يقولون في إحدى القنوات الفضائية الإخبارية الشهيرة: إن «عبد الوهاب» كان في الفندق وقت انفجاره وأنه مات محترقًا.

أحمد: أشعر أن هذا الحادث دُبر لإنهاء قضية «عبد الوهاب» ...

رقم «صفر»: كن على اتصال بي. إلى اللقاء.

كان أحد الضباط ينتظر انتهاء مكالمة «أحمد» في قلق ... لذا فقد أمسك بيده وجذبه خلفه وهو يسير في اتجاه الرصيف المحاذي للنفق؛ حيث كان يقف ضابط برتبة لواء، فحيَّاه «أحمد» وعرف منه أنه مساعد وزير الداخلية ومدير الأمن العام ... ويريد أن يقف على تفاصيل ما جرى ... غير أن «أحمد» قال له: أنا لا يمكنني أن أحكي لك بالتفصيل، وسيقوم قادتي بهذا ... أمَّا الآن فأنا لديَّ عمل مهم ...

تفهَّم الرجل الموقف وطلب من رجاله معاونته والوقوف إلى جواره لإنهاء هذا الحادث السيئ الذي تحوَّل إلى مأساة بسوء تصرُّف مدير الفندق ... فقال «أحمد» له: أشكرك يا سيدي على سعة صدرك، وأقترح محاكمة هذا المدير على ما اقترفه في حقِّ الفندق والدولة ...

كان رجال المنظمة من خبراء المفرقعات يحيطون بالسيارة عندما عاد إليها «أحمد»، فحيَّاهم بحرارة، وقال له قائدهم يداعبه: نريد أن نفحصك ...

أحمد: هل تراهم فخَّخوني أنا الآخر؟ ...

ضحك الضباط وبدءوا في فتح حقائبهم وإخراج المعدات ... وفتح أبواب السيارة بحذرٍ ... ومنهم من نام تحت السيارة وبيده بعض المعدات الموصلة بأسلاك، وانهمك

الجميع في العمل بجدية شديدة ... في الوقت الذي توافد على الفندق عشرات السيارات التابعة لشركات السياحة ما بين أتوبيس وميني باص وميكروباص وسيارات شخصية تحمل مديري شركات السياحة، وأخرى تحمل مندوبين عن وزير السياحة.

ومن مكبِّر سيارة النجدة ... خرج صوت مدير الأمن يقول في إنجليزية واضحة: السادة الضيوف الأعزاء ... يحدثكم اللواء «ماهر القماطي» مدير أمن العاصمة ويرجوكم ... نعم يا سادة، أرجوكم التزام الهدوء والحكمة ... لم يحدث انفجار لسيارة ... ولن يحدث ... إنه اشتباه في سيارة تقف أمام الفندق حوَّله مدير الفندق إلى حقيقة ... وحوَّلته وكالات الأنباء إلى حادث وقع، وعدَّدوا له الضحايا رغم أنهم لم يُصوِّروا إلا الهرج والمرج ... أمَّا ما أذاعته إحدى القنوات الفضائية عن وجود ضحايا ... وعرضت أشلاءهم على شاشتها فهو كذب وادعاء، وكل ما عرضته لم يكن في فندقنا وسنقاضيهم ... فأرجو من يريد أن يرحل أن يذهب بهدوءٍ ودون تكالب إلى سيارة الشركة التي يتبعها لتغيِّر له مكان الحجز ... ومن يريد ألَّا يغير مكان الحجز فليذهب معهم في نزهة إلى أن ننتهي من هذا الموقف ...

وهنا سأل «أحمد» أحد خبراء المفرقعات قائلًا: متى سننتهي من هذا الموقف؟

وفي جدية شديدة قال له: السيارة ملغَّمة ... لا أعرف كيف دخلت هذه الأجهزة الدقيقة والخطيرة إلى «مصر»؟

أحمد: هل تعني أنها ليست صناعةً مصرية؟

الضابط: بالطبع لا؛ فهي متطوِّرة للغاية ... ومتقنة الصنع، ولا يقدر عليها غير أجهزة مخابرات قوية!

أحمد: تقصد أنه إرهاب دولة؟

الضابط: لا أعتقد أنه إرهاب ... بل هناك قضية أخرى.

أحمد: كقضية «عبد الوهاب».

الضابط: «عبد الوهاب» من؟ ... الطفل العبقري؟

أحمد: نعم ... لقد صرَّحت إحدى المحطات الفضائية أنه قُتل في هذا الانفجار الذي لم يقع.

الضابط: تقصد أنهم كانوا ينوون قتله؟

أحمد: لا ... لقد كُنَّا نتحرَّى أمر اختفائه ... فتابعونا حتى الفندق وفخَّخوا لنا السيارة ...

الضابط: أي كنتم أنتم المقصودين؟

أحمد: نعم ...
الضابط: وأين «عبد الوهاب»؟
أحمد: إنَّه في «مصر»، ولن يخرج منها ...
الضابط: ولماذا أنت واثق هكذا؟
أحمد: لأن «عبد الوهاب» هو قدر «مصر».
الضابط: هل حدَّدت أين هو؟
أحمد: تقريبًا.
الضابط: إلى أن تصل إليه سيكون قد غيَّر مكانه ...
أحمد: لن يهرب مني.
الضابط: هل لغَّمته؟
أحمد: نعم ...

ثمن العبقرية!

كان الحلُّ الأمثل لإنهاء أزمة السيارة هو نقلها بعيدًا عن العمران وفحصها خارج المدينة ... لذلك طلب مدير الأمن سيارةً متخصِّصة لنقلها ... غير أن خبراء المفرقعات رفضوا تحريكها قبل فحصها فحصًا دقيقًا ... والتأكد من أن تحريكها لن يؤدي إلى إثارة حاسة التفجير في الأجهزة الذكية الملحقة بالمتفجرات.

وبعد فحصها تبيَّن لهم أن من لغَّموها لم يكن لديهم الوقت لفعل ذلك ... وهم أيضًا لم يكونوا يتوقَّعون أن يكتشف الشياطين ذلك بسهولة ... لذلك وافق الخبراء أخيرًا على نقل السيارة وإنهاء هذه الأزمة الخطيرة ...

اجتماع مهم كان لا بدَّ أن يعيد حال انتهاء هذا الحادث المزعج ... غير أن «إلهام» لم يكن لديها الاستعداد النفسي لحضور الاجتماع قبل الاطمئنان على سيارتها.

وقد كانت هذه مهمة «أحمد» الذي اصطحبها إلى أرض العمليات الخاصة بالمنظمة ... ووقفت معه تراقب عملية نزع المتفجرات عنها ... وكانت سعادتها لا توصف، عندما عادت بها إلى المقر ومن خلفها «أحمد» في سيارته «اللاندكروزر».

كان الشياطين جميعًا موجودين في صالة البلياردو ... التي اقترح «خالد» أن يعقدوا فيها اجتماعهم. وقد لحق بهم «أحمد» ومن خلفه «إلهام» ... وقد هلَّل الشياطين عندما رأوها، وقال «عثمان» يسأله: ما أخبار «الجراند شيروكي»؟

أحمد: إنها في الجراج.

مصباح: هل انتهى الأمر؟

أحمد: لا لم ينتهِ بعد ...

أثارت الكلمات «بو عمير»، فصاح يسأله من آخر الصالة قائلًا: ماذا هناك بعد يا «أحمد»؟

أحمد: الجزء الأهم في هذا الحادث ... الجزء الذي يخصنا ...

رشيد: تقصد من الذي فخَّخ السيارة؟ أليس كذلك؟

أحمد: نعم ...

عثمان: لقد كان الأمر مدبَّرًا بطريقة مدهشة ... أولًا كيف عرفوا أننا ذاهبون إلى «الشيراتون» فوضعوا في طريقنا هذا الرجل؟

أحمد: أظنُّ أن هذا الرجل يعمل في «الشيراتون»، وهو عميلٌ لديهم ... هل تعرف شكله يا «عثمان»؟

فكَّر «عثمان» ثم قال له: نعم أذكره قليلًا ...

وهنا تدخَّلت «إلهام» قائلة: إنه مرهق لِمَا مر به من أحداث اليوم ... وغدًا يمكنه أن يرسمه لنا، لا أن يصفه فقط ...

عثمان: أتظن أنك ستجده بعد الآن؟

أحمد: لا، أنا أريد أن أتأكد من أنَّ الأمر ليس مصادفة.

ريما: إذن كان هناك من يراقبكما ... وعندما رآكما في «الشيراتون» ... أبلغ هذا العامل وهو عميل لديهم أيضًا بأن يتقدَّم إليك ويحصل منك على السيارة ويحضرها لهم.

باسم: ويعيدها إليك بعد أن حشاها بما لذَّ وطاب.

أحمد: يجب تحديد ملامح هذا الرجل بدقة ... فسيقودنا إلى مختطفي «عبد الوهاب».

وفي حدةٍ قالت إلهام: لقد قلنا لك إنك لن تجده يا «أحمد» ... فهل سنترك «عبد الوهاب» ونبحث عنه؟!

أحمد: «عبد الوهاب» الآن سجين مع من اختطفوه ... أمَّا هذا الرجل فهو حر ...

عثمان: تقصد أنهم سيتركونه يتحرَّك بحرية.

أحمد: نعم ...

إلهام: سأطلعكم على خبرٍ مثير.

التفت لها الزملاء جميعًا ينتظرون ما لديها ... فقالت لهم: رغم أن الانفجار لم يقع ... إلا أن عاملًا من عمَّال الفندق مات مقتولًا ...

صاح «عثمان» في جزعٍ قائلًا: غير معقول ...

إلهام: هذا ما حدث ... وهذه صورته ...

ومدَّت له يدها بتليفونها المحمول ... فرأى على شاشته صورة الرجل القتيل، وعندما أعطى أمر تقريب وتكبير من الصورة صاح قائلًا: إنَّه هو ...

وهنا قال «أحمد» في ضيق: لقد ضاع منا خيط مهم كان سيوصلنا لـ «عبد الوهاب».

صمت قليلًا، ثم عاد يسأل «ريما» قائلًا: هل قابلتِ والده؟

ريما: نعم ... وهو حزين لضياع ابنه ... وقد ربط الطفل الموجود عنده في سرير ابنه، ولا يريد أن يسلِّمه إلا بعد أن يحضروا له ابنه.

إلهام: وكيف عرف أنه ابنه في البداية؟

خالد: إنه يقول إن هذا الولد مثَّل عليه وأخذ يبكي في حرارة فظنَّ أنه ابنه ... فلم تكن هناك فروق بينهما تدله عليه.

أحمد: كيف لا يشعر أب بابنه؟ ... هناك أشياء صغيرة بين الأب وابنه لا يمكن اكتشافها أو تقليدها.

عثمان: ماذا تقصد؟

أحمد: هذا الأب مشترك في اختطاف ابنه ...

سرت همهمةٌ خفيفة بين الشياطين ... قطعتها «زبيدة» قائلة: كيف سيخطف أب ابنه؟

أحمد: احسبوها معي وستجدون أن ما أقوله منطقي.

إلهام: كيف؟

أحمد: ماذا يريد هذا الأب لابنه؟

ريما: العيشة الكريمة والمستقبل الباهر ...

أحمد: ولماذا يريد الآخرون اختطافه؟

ريما: ليصنعوا منه عالمًا يفيدهم.

أحمد: أي سيوفِّرون له الحياة الكريمة.

إلهام: لقد وفَّرتها له الدولة ... فقد اشترت له فيلَّا في مكانٍ راقٍ ... ويسير معه حرس ... وله مخصَّصات مالية شهرية لا بأس بها ...

أحمد: ولكنه يفتقد الأمان ...

عثمان: كيف يخاف عليه من الحريق فيلقيه في النار؟!

أحمد: هو لم يلقِه في النار ...

عثمان: كيف؟! ... ألن يعطيه لمن يريدون قتله؟

أحمد: هم لن يقتلونه إلا لو ظل هنا ... أمَّا إذا ذهب هناك عندهم ... فسيحتفون به احتفاءً جيدًا ...

قيس: ليس هذا فقط ... بل أظن أن أباه قبض ثمنه.

صاح «باسم» قائلًا: أظن أن هذا أهم اكتشاف تمَّ اليوم.

خالد: لقد قرأت أنَّ جهةً ما عرضت ثمنًا له مائة مليون دولار.

عثمان: إذن هذا هو الرقم الذي حصل عليه والده.

أحمد: وبالطبع جنسية هذا البلد ... وبهذا يخرج من هنا في أمانٍ ... ليعيش هناك في أمان.

إلهام: أليس هذا من حقه هو وابنه؟!

أحمد: من حقه لو كان الأمر عاديًّا ... لكن في هذه الحالة وبهذه الطريقة ... فهي خيانة ...

عثمان: لماذا لا نحادث المسئولين في الأمر؟

أحمد: ماذا نقول لهم؟ إنهم لم يبخلوا عليهم وأنفقوا عليهم الملايين.

عثمان: لا، سنحدِّثهم عن مخاوفنا.

أحمد: لن يقدِّم هذا جديدًا. علينا الآن متابعة الأب، وماذا سيفعل مع الطفل المربوط في غرفة ابنه.

عثمان: سأذهب إلى هناك لأتحقَّق من الأمر.

ريما: لن يستقبلك والده.

عثمان: أنا عامل من شركة الغاز وأتيتُ لفحص العداد والوصلات؛ لأن ضغط الغاز زاد في المنطقة وقد يعرِّضه ذلك لخطر التسرُّب.

ريما: إنها فكرة جهنمية لا تصدر إلا من شيطان.

إلهام: وإذا امتنع؟

عثمان: سأفحص مواسير الغاز من الخارج وأضع له الخرطوش الاندماجي.

تأجَّلت كل المهام إلى أن يأتي «عثمان» بالخبر اليقين ... وهذا الخبر لن يتم الحصول عليه إلا في صباح الغد ... فالليل قد حان وميعاد النوم اقترب ... ولم يعد أمامهم إلا العشاء وحمام المساء ... ومتابعة التليفزيون لدقائق ثم النوم ...

في صباح اليوم التالي كان «عثمان» قد أعد العدة للذهاب إلى منطقة «العجوزة» ... وقد ارتدى زيًّا خاصًّا بالعاملين بشركة الغاز ... وبتوصية من مديرها ... حصل على سيارة من سيارات القطاع الفني للشركة ... ولولا أمر مباشر من الوزير لرئيس الشركة ما سمح بخروج هذه السيارة ... وبالطبع تدخُّل قيادات المنظَّمة في هذا الأمر.

توجَّه «عثمان» بالسيارة إلى منطقة «العجوزة»، وبالتحديد شارع «عبد الرحيم باشا صبري» حيث يسكن «عبد الوهاب» ... فأوقف السيارة ونزل يطرق الباب، فأجابته الخادمة من الداخل قائلة: من بالباب؟

عثمان: شركة الغاز.

الخادمة: ماذا تريد؟

عثمان: الكشف على العداد ومراجعة الوصلات.

الخادمة: لا يوجد أحد بالمنزل، ولا يمكنني أن أفتح لك.

عثمان: إن ضغط الغاز زاد في المنطقة، وفي هذا خطورة على الفيلا، إن لم أكشف على الوصلات فقد يكون هناك تَسَرُّب.

الخادمة: انتظر قليلًا.

وبعد قليلٍ نادته الخادمة وقالت له: الأستاذ «حمدي» في الطريق ... لقد اتصلت به وشرحت له الموقف.

لاحظ «عثمان» بعض رجال الأمن يتناثرون حول الفيلا، ويرتدون الأزياء المدنية، ولولا أنه يعرف بعضهم لظن أنهم رجال العصابة.

وبعد أكثر من نصف الساعة توقَّفت سيارة صالون خلف سيارة شركة الغاز، ونزل رجل في الأربعين من عمره، خفيف شعر الرأس، متوسط الطول، خمري اللون، فاقترب من «عثمان» الذي كان يجلس في سيارة الشركة ... فحيَّاه وقال له: أنا صاحب هذه الفيلا، ماذا تريد؟

عثمان: إن ضغط الغاز زاد في هذه المنطقة لمواجهة زيادة أعداد المشتركين ... وأنا أريد أن أكشف على الوصلات.

«حمدي»: هل يمكنني أن أرى بطاقة تحقيق الشخصية؟

عثمان: طبعًا ...

قال له هذا، ومدَّ يده في جيب قميصه وأخرج له كارنيهًا أعدَّته له إدارة العمليات الخارجية ... فقرأه الرجل بعناية ... ثم تركه ودخل الفيلا ... وغاب هناك لقرابة الربع ساعة ... ثم سمعه يناديه قائلًا: يا باشمهندس ...

حمل «عثمان» معداته ودلف من باب الفيلا متوجِّهًا إلى حيث الصوت ... فوجده يقف بباب المطبخ ... وما إن رآه قال له: تَفضَّل من هنا ...

دخل «عثمان» وهو يحادث نفسه قائلًا بلا صوت: يا لك من رجل غير متعاون ... ماذا سأفعل أنا في المطبخ؟ وماذا سأرى؟

ولكي يحث الرجل على التحرُّك بعيدًا عنه قال له: إني أنتظرك في السيارة منذ نصف ساعة ...

الأستاذ «حمدي»: أنا آسف ... ولكن الخادمة لا يمكنها إدخالك في غير وجودي ... لماذا لم تتصل بي أمس وكنت انتظرتك اليوم؟

قال «عثمان» مستحسنًا الفكرة: يجب أن يحدث هذا فعلًا ... هل لديكم سُلَّم خشبي؟

«حمدي»: لدينا سُلم المطبخ، ولكنه معدني ...

عثمان: هذا ما أقصده ...

حمدي: إنه في بلكونة المطبخ. يمكنك إحضاره ... ولكن اشرب هذا أولًا ...

– ما هذا؟ ...

– إنَّه عصير جوافة.

ولكن هذا العصير سمعته سيئة ... فالسمُّ يختفي فيه تمامًا ولا يُكتشف ... فهل يرفض؟ لا هناك طريقة أخرى ... فقد وضع الكوب على أنفه ثم قال للأستاذ «حمدي»: هل تضع عصائر أخرى في الثلاجة؟

«حمدي»: هل رائحته غير جيدة؟

أمسك الأستاذ «حمدي» كوب العصير ونظر لـ «عثمان» مليًّا ... ثم وضعه على أنفه قبل أن يمد يده به إلى «عثمان» ويقول له: اشرب.

المطاردة الكبرى!

شعر «عثمان» أنَّ الرجل بدأ يشك فيه بعد رفضه شرب العصير ... فهل كان عليه أن يشربه؟ نعم كان عليه أن يشربه؛ فلا يمكن للرجل أن يضره والشركة تعرف أين هو لأنه خرج بأمر شغل، والسيارة تقف بالباب ... إذن فإن عليه أن يشرب العصير ... هذا هو القرار الذي وصل إليه «عثمان» بعد مشاورات كثيرة مع نفسه؛ لذا فقد مدَّ يده ليمسك بالكوب ... غير أنَّه لاحظ قبلها أن سيارته لا تقف أمام الباب، فتراجع وقال للأستاذ «حمدي»: أين السلم؟

الأستاذ «حمدي»: ألم أقل لك إنه في البلكونة!

عثمان: وأين البلكونة؟

أشار «حمدي» إلى باب في آخر المطبخ وقال له: هذا بابها ...

فتح «عثمان» الباب ... وما كاد يخطو خطوةً واحدة في البلكونة ... حتى سقط ما يشبه الهِراوة على رأسه ... فسقط مغشيًّا عليه ... وبعد وقتٍ لا يعرفه هو ... شعر بصداع شديد ودوار، وتذكَّر أنه كان مغشيًّا عليه، وأنه أفاق في هذه اللحظة فقط، وحاول أن يمسك رأسه فوجد يده مقيدة، وكذلك رجلَيه، وتذكَّر عامل الفندق القتيل وعرف مصيره ... ولكن يمكنه أن يفعلها ويقنع زملائي أنه لم يراني ... وهذا ما حدث ... فقد سمعه «عثمان» ... يتحدَّث مع أحدٍ وكان يقول: لقد كنت في عملي ... أنا لم أغادر مكتبي ... لقد طلبتني الخادمة لكني لم أتمكَّن من الانصراف مبكِّرًا ... يمكنكم التفتيش إن أردتم، على أن يتم ذلك بمعرفة البوليس وبإذنٍ من النيابة.

عرف «عثمان» أنَّ من يسألون عنه هم الشياطين ... وأنهم لن يتركونه مختطفًا ليتخلَّص منه هذا الرجل ومن معه ... ولكن مَن مع هذا الرجل؟

هل حقًّا قبض ثمن ابنه واستأجر أعوانًا ... وهو يعد العدة للهروب خارج «مصر»؟

على كورنيش النيل وفي أحد الفنادق الشهيرة القريبة من منطقة «العجوزة» «فندق شهرزاد» ... جلس «أحمد» و«إلهام» و«بو عمير» و«رشيد» يعدون خطة اقتحام الفيلا ... وتركوا عندها «مصباح» و«فهد» يراقبون عن بعدٍ أي تحرُّكات مريبة تحدث قبل البدء في الاقتحام ...

في هذه الأثناء كان «عثمان» قد أفاق وفك قيده ... وتجوَّل بحرية داخل الفيلا ... فالفيلا كانت خالية. نعم لم يكن بها أحد ... والأستاذ «حمدي» غادرها إلى غير رجعة ... فأدراج مكتبه مفتوحة عن آخرها وخالية من الأوراق، كذلك دولاب ملابسه ... ليس به إلا بعض الملابس المستعملة، ولكن لا أثر لأوراق أو أغراض شخصية أو أدوية ... حتى ابنه أو شبيه ابنه الذي قالوا عنه إنه يحتفظ به إلى أن يحصل على ابنه ... غير موجود.

وفي اتصالٍ سريع تعجَّب «أحمد» لِمَا يجري قائلًا: أين أنت يا «عثمان»؟

عثمان: أنا في الفيلا.

أحمد: هل أنت مقيَّد؟

عثمان: أنا حرٌّ والفيلا خالية، والرجل تمكَّن من الفرار.

أحمد: أليس عندك ما يدل على مكانه؟

عثمان: لديَّ آخر رقم اتصل به تليفونيًّا، وهو مسجَّل على ذاكرة التليفون ...

أحمد: هل يمكنك التحري عنه؟

عثمان: لقد قطع سلكَ التليفون من مكان غير معروف. سأُبلغك بالرقم وقم أنت باللازم ...

خطأ فادح وقع فيه «حمدي» ... تخيَّل أنه يجمع أوراقه كلها وقطع الحرارة عن التليفون ... لن يستطيع أحد العثور عليه ... ولم يلحظ أن للتليفون ذاكرة ... ومرةً ثانية قام «أحمد» بالاتصال بـ «عثمان» وقال له: التليفون في منطقة «المعادي» في شارع الأشجار رقم سبعة، وكان يخص دكتور قلب يدعى «محمد مختار»، وهو غير موجود بـ «مصر» ... والفيلا مؤجرة لشركة تقوم بتأجيرها مفروشة.

عثمان: إذن سأذهب إلى هناك.

أحمد: هل حالتك تسمح؟

عثمان: أنا في أحسن حالاتي ... هل آتي إليكم أم تأتون إلي؟

أحمد: سنأتي إليك ...

عندما غادر الشياطين منطقة «العجوزة» ... كانت هناك عيون كثيرة تراقبهم، وقد شعروا بذلك ... فآثروا ألَّا يذهبوا مباشرةً إلى منطقة «المعادي» حتى لا يثيروا شك هؤلاء المراقبين ... بل سلكوا طريق الكورنيش في اتجاه «الجيزة»، ثم استكملوا الطريق إلى «المنيب»، ومن هناك صعدوا إلى الطريق الدائري إلى اتجاه «المعادي».

ولأن «إلهام» كانت تضحك لِمَا فعله «عثمان» من احتفاظه بعدة التليفون الخاصة بـ «حمدي»، فقد قال لها: إنه أحدث تليفون محمول ...

ضحكت «إلهام» وقالت له: هل تنتظر استقبال مكالمات الرجل على تليفونه؟

عثمان: لا ... بل احتفظت بذاكرة تليفونه ... فعليها أرقام من اتصل بهم منذ أيام عدة ... وأرقام من اتصلوا به أيضًا ...

إلهام: إنها فكرة عبقرية ...

عثمان: أنا أرى أن نستعلم عن بقية الأرقام الموجودة على الذاكرة.

إلهام: لنرَ ماذا سنجد في فيلا «المعادي» أولًا؟

وصلت السيارة إلى شارع «الأشجار» الذي كان مزدحمًا بالأشجار على جانبَيه، وعند فيلا «محمد مختار» توقَّفت ... وعلى حذرٍ نزل «عثمان» ومن خلفه «رشيد» فوجد الباب الخارجي مغلقًا ... وعبرا سورها ولم يكن مرتفعًا ... وتقافزا على السلالم في خفة ... ثم عالجا أقفال الباب ... ولَّما انفتح دلفا سويًّا في جرأة وإقدام ورشاقة وخفة الفهود ... فلاحظا أنَّ الفيلا خالية ... غير أن هناك ما يدل على أنها كانت مشغولةً حتى وقت قريب ... والدليل على ذلك ذاكرة التليفون التي تدل على أنه استقبل مكالمات حتى الثانية والربع ظهرًا ... فحمله «عثمان» وخرج به قفزًا على أطراف أصابعه، ومن خلفه «رشيد».

ومرةً ثانية ضحكت «إلهام» وقالت لـ «عثمان»: لا شك أنك لصٌّ تليفونات.

عثمان: لقد وجدنا الفيلا خالية ... ولكن كانوا بها. غادروها منذ ساعات قليلة، والدليل على ذلك ذاكرة التليفون.

ابتسم «أحمد» وهو يقول لـ «عثمان»: يا لك من فتًى عبقري!

وهنا صاح «عثمان» قائلًا: قل هذا لـ «إلهام»؛ فهي لا تعترف بأني عبقري.

وهنا انتبهت «إلهام» لهما، فقالت تسألهما: لماذا نطارد الآن الأستاذ «حمدي»؟

أحمد: أولًا لتعاونه مع جماعة قامت بتفخيخ سيارتك، وكادت تقتلكم وتدمِّر معكم فندقًا كبيرًا لتقتل بذلك مئات السياح الأبرياء.

إلهام: هذا أولًا ...

أحمد: ألَا يكفي أولًا؟!

إلهام: يكفي جدًّا؛ ولكني أريد أن أسمع ثانيًا وثالثًا.

عثمان: ثانيًا ... إنه حاول قتلي.

أحمد: إنه خدع الأجهزة الأمنية ... واستولى على أموال الدولة، وغيره وغيره الكثير ...

إلهام: لقد ورَّطه طمعه في جرائم عدة.

أحمد: ومطلوب القبض عليه وعلى من معه، وعلى قتله عامل الفندق العميل.

إلهام: إذن فليقرأ «عثمان» آخر رقم تليفون تمَّ طلبه من آخر تليفون حصل عليه.

قامت «إلهام» بإبلاغ إدارة المقر بما أملاه عليها «عثمان»، ولم تمضِ ثوان إلا وعرفت أن هذا التليفون يخص شركةً للاستيراد والتصدير ... وأنها أُغلقت من فترة، وتؤجِّر الفيلا المقر مفروش ...

أحمد: وأين موقعها؟

إلهام: مدينة الشروق ...

أدار «أحمد» محرك السيارة ووضع قدمَيه على بدالَي السرعة والفرامل، وضغط وانطلق ... وصرختِ الفرامل، وقفزت السيارة كالفهد عندما ينقَض على فريسته ... وانطلقت تقطع الطريق إلى طريق «صلاح سالم»، لتنطلق منه إلى مدينة «الشروق» ... وأثناء الطريق قام «أحمد» بالاتصال بنفس الرقم، وكان على الخط معه سيدة صغيرة فقال لها: مساء الخير ... هل هذه شركة عبر البحار؟

فأجابت السيدة في ذوقٍ جم: كانت هنا شركة بهذا الاسم ولكنها لم تعد موجودةً الآن.

أحمد: هل يمكنني إرسال أوراق تخصهم إليكم كي تسلِّموها لهم؟

السيدة: لا مانع، ولكن لا تنتظر مني المزيد.

أحمد: ليس هناك المزيد.

أنهى اتصاله ثم قال لهم: لماذا نحن ذاهبون إلى هناك؟

عثمان: لأن هذا هو آخر مكان اتصل به «حمدي».

أحمد: وهل رأيت «حمدي»؟

عثمان: المفروض أنه كان في فيلا «المعادي» ...

فجأةً مرقت سيارة مسرعة بجوار «أحمد»، لمح بها رجلًا وامرأة وطفلًا، والطفل يشبه «عبد الوهاب» ... فأطلق لعداد السرعة العِنان ليلحق بهذه السيارة ... ولاحظ أن هناك سيارةً تحاول اللحاق بهم من الخلف ... فلم يعبأ بها، وانطلق على أثرٍ ظنه أنه

«عبد الوهاب» ... وكاد أن يحلق بهم ... لولا أن السيارة انحرفت انحرافًا خطيرًا على يمين الطريق، وانطلقت تدخل مدينة «الشروق»، فلم يتركها وانطلق خلفها ... ومن خلفه أيضًا كانت السيارة «اللاندكروزر» ... تحاول اللحاق به، وانطلقت منها رصاصة اصطدمت بأكس العجلات الخلفية ... وعَلا رنينها، وقال أحمد: لقد أثرناهم ...

وأخرج «عثمان» مسدسه ... وسحب زر الأمان به واستعد للاشتباك معهم ... ومرةً أخرى انحرفت السيارة الأمامية انحرافًا حادًّا ... ولكن جهة اليسار ... وكادت تنقلب لشدة سرعتها ... ولم يتركها «أحمد» ... بل ظلَّ خلفها يلتهم الطريق التهامًا ... و«اللاندكروزر» تحاول تعطيله عن ذلك ... وهنا قال «رشيد»: أشعر أنهم كانوا متجهين للمطار وغيَّروا وِجهتهم عندما اكتشفناهم ... ومرةً أخرى انطلقت من «اللاندكروزر» طلقة كادت تصيب العجلة الخلفية، فأخرج «عثمان» يده الممسكة بالمسدس من نافذة السيارة ... غير أن «أحمد» قال له: ليس الآن يا «عثمان».

ومرةً ثالثة انطلقت رصاصة من «اللاندكروزر» فأخطأت عجلات «اللاندكروزر» ولكنها أصابت عجلات «الفورد» التي يطاردونها ... فدوَّى في الأفق صوت انفجارها ... وطارت السيارة في الهواء وسقطت على سقفها.

زمجرت فرامل سيارة «أحمد» في الوقت الذي توقفت فيه «اللاندكروزر» عن بعدٍ تراقب ما يجري ... واجتمع الشياطين حول السيارة يحاولون عدلها لتقف على عجلاتها ... فلم يتمكَّنوا ... وسمعوا سارينة سيارة إسعاف لا يعرفون من الذي طلبها ... وتوقَّفت السيارة بجوار «اللاندكروزر» لثوانٍ ... ثم استكملت طريقها إليهم ...

ونزل منها حتى السائق يحاولون عدل السيارة ... وما إن أفلحوا في ذلك حتى تعاونوا في فتح الأبواب وحمل السائق الذي كانت حالته سيئة، ثم الأستاذ «حمدي» ... وكان في حالة طبيعية، وكذلك زوجته وابنه «عبد الوهاب» ... غير أنهم اصطنعوا الإصابة ... فانطلقت بهم سيارة الإسعاف إلى المستشفى العالمي للقوات المسلحة، وهو أقرب مستشفى لهم ...

ولاحظ «رشيد» أن «اللاندكروزر» انصرفت ... وكأن من بها اكتفَوا بذلك وعادوا من حيث أتَوا ... وانطلق «أحمد» من طريقٍ صحراوي غير ممهَّد، ولكنه مختصر للوصول إلى المستشفى ... وخلال ربع ساعة كان يقف ببابها ويخرج لرجال الأمن بطاقته الأمنية، فسمحوا للسيارة بالمرور من البوابة، وعند الاستعلامات سأل عن سيارة الإسعاف، فلم يجد لديهم علمًا بها ... جُن جنون «أحمد» ومن معه ... فهل كان الحديث بين من بسيارة «اللاندكروزر» ومن بسيارة الإسعاف حديث اتفاق؟

وبظهر السيارة خرج «أحمد» من باب المستشفى بسرعة جنونية ... وبنفس السرعة انطلق يجوب شوارع مدينة «الشروق» بحثًا عن سيارة الإسعاف، فلم يجدها، وقالت له «إلهام»: لماذا لا نتصل بالمستشفيات القريبة من هنا ونسأل عنهم؟

تنفَّس «أحمد» بعمقٍ وأخرج زفرة ضيق وقال لها: لن أجدهم ...

إلهام: لماذا؟

أحمد: إن حالتهم لم تكن تستدعي الذهاب إلى المستشفى.

الخدعة الكبرى!

ستطارد مَن الآن يا «أحمد»؟

كان هذا هو أهم سؤال يسأله «أحمد» لنفسه ويسأله زملاؤه له ... وكانت إجابته جاهزة: سأطارد «اللاندكروزر» ...

وقالت له إلهام: كيف ستحصل عليها؟

أحمد: سأتشمَّمها بأنفي ... وأراها بعقلي ... وألمسها بخيالي ... سأعتبرها سيارةً افتراضية وأستعين بالكمبيوتر في البحث عنها ...

ولم تمضِ دقائق، وبعد عمليات قصيرة ... أعلن الكمبيوتر عن مفاجأة ... فهم الآن في طريق المطار ...

زر بتابلوه السيارة ... ضغط عليه «أحمد» ... فانتقلت سرعتها من تسعين إلى مائتَي كيلومتر في لحظات.

وفي دقائق كانت السيارة تسير في شارع «جسر السويس» طريق المطار ...

وعن بُعدٍ شاهد سيارة الإسعاف مقلوبة، فاقترب منها وتوقَّف وفحصها بعنايةٍ بعينَيه ... فاكتشف أنها انقلبت فارغة ... وأنه نوع من التمويه ... المقصود به تشتيت جهودهم وتعطيلهم ... فانطلق يلتهم الطريق وكأنه يقود سيارةً إلكترونية على شاشتها فيديو جيم، غير أنه لم يصادف «اللاندكروزر» فاتجه إلى المطار القديم ... وأخذ يتفحَّص عن بعد السيارات المصطفَّة فيه ... فرأى «اللاندكروزر» تغادر مكانها ... فطلب من «عثمان» النزول للبحث عن «عبد الوهاب» وأسرته ... وطلب من «رشيد» أن يستعلم عن رحلات الطائرات ومواعيدها ووجهتها خلال اليوم كله والسؤال عن أسرة من أب وأمٍّ بأسماء مختلفة ... على أن يكون بينهم اتصال ... وسيعود إليهم مرةً أخرى إن طارد «اللاندكروزر» ... غير أن عطلًا أصابها ... جعلها تبقى في مكانها، ونزل من بها يحاولون إصلاحها ... ثم غادروا

موقعها واختفَوا وغابوا ... و«أحمد» يراقب وجهتهم منتظرًا عودتهم ... فلم يعودوا ... وعندما نظر إلى السيارة ... لم يجدها.

جُن جنون السيارة كما جُن جنون «أحمد»، وانطلقا سويًّا يبحثان عن «اللاندكروزر»، غير أن عجلات السيارة الأربع اشتركوا في الانفجار سويًّا ... ونامت السيارة فجأةً على الطريق ... ورأى «أحمد» على المهبط طائرةً خاصة صغيرة أودت له بفكرة ... فجرى يعبر السلك الشائك بمهارة الفهود ... ثم تطلَّع الطريقَ جريًا إلى سلم الطائرة ... ولحُسن حظه كانت جاهزةً للدوران ... ولم يلتفت أحد إلى ما يجري إلا عندما انطلقت الطائرة في سماء المطار ...

وعلى أرض المهبط تزاحمت سيارات المطافئ والإسعاف ... ولم يهدأ رجال الأمن إلا عندما اتصل «أحمد» ببرج المراقبة وأبلغهم أنه في مهمة رسمية مهمة، ولم يكن أمامه إلا استخدام هذه الطائرة.

وفي سماء المطار حلَّقَ أكثرَ بحثًا عن «اللاندكروزر» ومَن كانوا بها دون جدوى، ولفت نظره على المقعد المجاور له ملف يحوي أوراقًا مكتوبة بالإنجليزية، وتحمل كل ورقة منها صورة ... إنها صورة! ...

صاح «أحمد» في سعادة قائلًا: إنها صورة «عبد الوهاب» ... وهذه صورة والده ... وهذه والدته ... إذن فهذه الطائرة كانت مستأجرةً لنقلهم إلى خارج البلاد ... إذن لقد وصل الصيد إلى فخي طائعًا.

ماذا يدور برأس «أحمد»؟ من المؤكَّد أنه شيء خطير ... لكنه يحتاج لترتيبات كثيرة بالهبوط مرةً أخرى على أرض المطار ... وأبلغ زملاءه أنه يحتاج لزي قائد طائرة ... فقالت له «إلهام»: يوجد هناك مكتب لشركة «مصر للطيران» ... وهم يرتدون زيًّا شبيهًا بأزياء طياريهم ... ويمكنك استبدال ملابسك مع أحد موظفي المكتب.

أحمد: إنها فكرة جيدة ... ولكنكِ أنت أيضًا ستحتاجين لزي مضيفة.

إلهام: لا تحمل همي ... سأحصل عليه ...

أحمد: يبقى معاوني، وليكن «بو عمير»، وسأحصل له بنفس الطريقة على زي ... المهم أن ينتهي كل هذا في غضون ساعة.

إلهام: ألن تخبرنا شيئًا عمَّا يجري؟

أحمد: أتعرفون لِمَا نحتاج لهذه الأزياء؟

عثمان: لا بالطبع.

أحمد: الطائرة التي كنت أقودها الآن ... هي طائرة خاصة تابعة لإحدى الشركات ... وتعرفون من سيسافر على ظهرها؟

لم ينطق أحد منهم انتظارًا لِمَا سيقوله ... فاستطرد بقوله: «عبد الوهاب» وأسرته.

لم يصدِّق الشياطين، وسألته «إلهام» قائلة: وكيف عرفت؟

أحمد: لقد عثرت على ملف بالطائرة به صور لهم ...

إلهام: إذن الخطة هي القبض عليهم وهم في الطائرة ...

أحمد: نعم ومعهم قتلة عامل الفندق ومحاولي تفجير سيارتك ...

إلهام: إنه خبر عظيم ... فهذا يعني أننا سنشتبك معهم في عراك غير مسلَّح.

أحمد: من يدري قد يكون مسلَّحًا ... المهم أمامكم أقل من نصف الساعة للانتهاء من كل هذا ... وأعطوني بطاقاتكم الأمنية لأحصل لكم على تصاريح السفر في هذه الأثناء.

انصرف كلٌّ منهم إلى العمل الذي ضمنه، وقبل نصف الساعة ... كانوا يقفون بجوار سُلم الطائرة.

وقبل أن يصعد إليها رُكابها ... كانوا هم على متنها ... يُعِدون كل شيء لاستقبالهم، وعن طريق لا سلكي الطائرة ... تلقَّى «أحمد» اتصالًا من رقم «صفر» يتهلَّل له كثيرًا، وقال له: اقتربَ الميعاد يا زعيم ...

رقم «صفر»: نحن نريد «عبد الوهاب» سالمًا، وكذلك أسرته.

أحمد: سنحاول أن نحافظ عليه، ولو تعرَّضنا نحن للموت.

رقم «صفر»: أنا أثق فيكم تمام الثقة ... كذلك كل قيادات المنظمة ... وأشعر أنكم ستُنهون هذه المهمة بنجاح.

أحمد: أنا لا أريد النزول على أرض المطار هنا مرةً ثانية.

رقم «صفر»: ماذا تقصد؟

أحمد: أريد أن أنزل بهم في مطار «ألماظة».

رقم «صفر»: سأتصل بك بعد دقائق لأبلغك بالموافقة.

أحمد: وبالطبع ستكون الأجهزة الأمنية هناك.

رقم «صفر»: طبعًا ...

نظر «أحمد» لـ «إلهام» مبتسمًا وقال لها: يا لك من مضيفة جميلة! ...

إلهام: هل تشرب شيئًا؟

أحمد: نعم قهوة باللبن.

ومثله كان «عثمان» و«رشيد» و«بو عمير» ... وجلسوا سويًّا يحتسون القهوة في انتظار الركاب ... في انتظار الصيد الثمين الذي وقع في أيديهم بالمصادفة.

وهنا علَّق «أحمد» قائلًا: أتعرفون أي نوع من المصادفة هذه؟

لم يعلِّقوا ... فأكمل قائلًا: إنها مصادفة المخترعين ... فهم يعملون بجد واجتهاد ومثابرة لحل مشكلة، فيحصلون على هذه المصادفة العبقرية ... إنها نتاج هذا الجهد ... وهذه الجرأة ... انتفض «عثمان» واقفًا وغادر الطائرة مسرعًا ... ففي وجوده خطورة عليهم ... فقد رأوه أكثر من مرة ... وكان الاتفاق أن ينتظرهم في مطار «ألماظة».

وبترحاب شديد استقبل طاقم الطائرة «عبد الوهاب» ومن معه ... وقدَّموا له الهدايا ... وقبل أن تُقلع الطائرة ... أحضرت «إلهام» تورتةً فاخرة وأشعلت بها شمعة ... واعتبروا أن يوم سفره هذا هو يوم ميلاد له ... وقد استحسن كلٌّ من معه على الطائرة هذا الاحتفال ... وشكروهم عليه ... واتخذ كلٌّ منهم بعده موقعه ... وأعلن «أحمد» بعدها في الإذاعة الداخلية عن الاستعداد للإقلاع ورجاء ربط الأحزمة ...

وفي كابينة القيادة قال الكابتن «أحمد» للملاح «رشيد»: إنها أحزمتنا لا أحزمة الطائرة ...

«رشيد»: ماذا تقصد؟

أحمد: ستفهم كل شيء ...

انطلقت الطائرة تجري على أرض المطار، وازدادت سرعتها شيئًا فشيئًا، ثم علت مقدمتها لأعلى، وانطلقت بعدها ترفعه وترتفع حتى بلغت الارتفاع القانوني، ثم استوت في السماء بنعومة صفَّق لها الركاب، وشرعوا يفكون أحزمة الأمان غير أنها لم تُفك.

نظروا جميعًا لبعضهم وشعروا بالانزعاج، فحضرت إليهم «إلهام» وقالت لهم: لا داعي للانزعاج ... عطل بسيط وسيأتي الفني المسئول عن الصيانة ويصلحه ... وقبل أن تُنهي اعتذارها كان «رشيد» قد حضر ومعه بعض الأدوات ... وشرع يفحص الأحزمة ويحاول فكها ... هذا ما ظنوه، أمَّا ما كان يقوم به ... فهو تعقيد المشكلة أكثر ... وقد لاحظ أحد الرجال المصاحبين للعبقري ذلك ... فانتظر حتى أمسك «رشيد» بحزامه يفحصه، فقبض على رقبته بذراعه قائلًا له: من أنت؟ وماذا تريد؟

وهنا خرج «أحمد» من كابينة القيادة وقال له: اتركه ... فلن يفيدك هذا ... فأنت مقبوض عليك ...

صرخ الرجل صرخة غيظ وصاح مهدِّدًا: سأقتله وأدمِّركم ...

وبضربةٍ فنية على حنجرته ... فقدَ الرجل اتزانه ... فتخلَّص منه «رشيد» ... وقال له: لن أعاملك بمعاملتك ... وسأتركك للقانون.

بُهت الجميع لِمَا يجري ... غير أن «أحمد» لاحظ علامات السعادة تبدو على وجه «عبد الوهاب» وأمه ...

وفوق مطار «ألماظة» حلَّقت الطائرة لثوانٍ قبل أن تهبط وتجد في انتظارها رجال الأمن ورجال المنظمة.

وكانت سعادةً غامرة لجميع الشياطين أن عادوا بـ «عبد الوهاب» سالمًا لأرض وطنه ... وعندما علم رقم «صفر» بذلك ... أرسل لهم رسالةً يقول فيها: «انتهى صراع العباقرة لصالحنا ... أُهنئكم بالنجاح.

رقم «صفر».»

هنـــداوي